بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ آل عمران ١٠٢

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ النساء ١

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ الأحزاب ٧٠ – ٧١

أما بعد:

فإن منة الله سبحانه وتعالى على عبده المسلم بتوفيقه إلى العمل بالسنة المطهرة وسلوك جادتها المستقيمة منة كبرى ونعمة عظمى تستحق أيها الإخوة شكرا وذكرا كثيرا إذ أن التمسك بالسنة اليوم عزيز والمتمسك بالسنة اليوم غريب أيضا فالتمسك بالسنة منهلم من مظاهر الغربة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعها. فأكثر المجتمعات الآن على غير السنة كما قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (استوصوا بأهل السنة خيرا فإنهم غرباء) وكما قال أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى: (السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان) ويقول يونس بن عُبيد رحمه الله تعالى: (ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها) فإذا كان أيها الإخوة ، إذا كان هذا كلام أولئك الأئمة في زمانهم فما بالنا بزمننا هذا لا شك أن الغربة قد اشتد استحكامها وعظم أمرها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فمن كان من أهل السنة فليحمد الله تعالى على هذا الفضل ، وليسأل الله سبحانه وتعالى الثبات عليه .

وأما من كان من غير أهلها فيا لحيبته ما أعظم مصيبته وما أشد خسارته فليعد إلى ربه جل وعلا وليراجع دينه فإن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام. ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر. ومن فضل الله سبحانه وتعالى علينا أنه جل وعلا لم يُخلي زمناً من الأزمان من أهل السنة ، لم تقوم حجة لله تعالى على الناس أجمعين فيبلغون شرع الله سبحانه وتعالى كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويدعون إلى لزوم السنة وترك البدع والأهواء . وقد كنا نعيد أهل السنة والجماعة وهم يعيد فيما نقل إلينا من سيرهم وأخبارهم وأحوالهم أمة واحدة تجمعهم السنة وإن نأت ديارهم وتباعدت أقطارهم يجمعوا بعضهم على بعض ويحب بعضهم بعضا وإن لم يره حتى قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (إذا بلغك عن رجل في المشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب فابعث إليهما بالسلام وادع لهما فإنهما أقل أهل السنة والجماعة) ويقول أيوب السختياني رحمه الله تعالى أيضا: (إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي)

أما اليوم فقد كثر المنتسبون إلى السنة وكثر اللابسون للباس أهل السنة، حتى لم يعد تمييز أهل السنة الحقيقيين من غيرهم بالأمر السهل اليمن. وهؤلاء الذين تلبسوا لباس السنة وتظاهروا بالتمسك ما لم يفعلوا ذلك إلى لأجل القضاء على وحدة أهل السنة والجماعة، وتفريق صفوفهم وضرب بعضهم ببعض. حتى تعلو راية البدعة وتسود جيوشها، ولكن يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، فأهل السنة مهما اندس بينهم مندس، ومهما تزيا بزيهم ماكر فإن الله سوف يهتك ستره ويفضح أمره، فما أسر عبد سريرة إلا أخرجها الله سبحانه وتعالى على فلتات لسانه وقسمات وجهه، ولخطورة ذلك الأمر الذي أشرت إليه وهو تلبس كثير من الناس بالسنة في هذه الأزمان وهم ليسوا من أهلها، وشدة تفشي هذا الأمر وخوفي أن ينذرس مذهب أهل السنة والجماعة. على أيدي أناس يتسمون هذا الاسم وليسوا من مسماه على نصيب .

فإننا في هذا المجلس نذكر بعض المسائل وبعض القضايا التي كثر طرحها في هذا الزمن وباسم أهل السنة والجماعة. وهذا الطرح الغالب الكثير ليس عليه أثارة من علم، وليس هو من مذهب السلف الصالح رحمهم الله تعالى. وإنما هو إفتات على منهج السلف الصالح وتلبيس وخداع إما لنصرة حزبا من الأحزاب التي انتشرت في هذا الزمن باسم الإسلام أو لمجرد هوى أو نحو ذلك من الأمور العظام. أقول لما كان هذا الطرح لمثل هذه المسائل باسم أهل السنة والجماعة وهو يعيد عن هذا المسمى وجب التنبيه ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا، ونحن في هذه العجالة نذكر بعض هذه المسائل وندلي فيها بدلونا عل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم الإخلاص، وتحقيق متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتوفيق لمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم. فمن هذه المسائل مسألة التصنيف، ومسألة الحكم بغير ما أنزل الله ومسألة هل الكفر إنما يكون بالتكذيب أو يكون بالتكذيب وغيره، ومسألة الأحزاب والتحزب.

فنبدأ بالمسألة الأولى وهي التصنيف. هل هو حق أم باطل وهل يصح التصنيف بالنقل أم لا يصح ؟

وجواب هذه المسألة أن يقال إن التصنيف الذي هو نسبة الشخص الذي تلبس ببدعة إلى بدعته ونحو ذلك كنسبة الكذاب إلى كذبه وهكذا كل ما يتعلق بمسائل الجرح والتعديل. تقول إن هذا التصنيف حق ودين يدان به. ولهذا أجمع أهل السنة على صحة نسبة من عُرف ببدعة إلى بدعته فمن عرف بالقدر قيل هو قدري، ومن عُرف ببدعة الخوارج قيل خارجي، ومن عرف بالإرجاء قيل هو مرجئي، ومن عرف بالرفض قيل رافضي، ومن عرف بالتشعر قيل أشعري، وهكذا معتزلي وصوفي وهلما جرا. وأصل هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن أمته ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار فنبه دلالة على وجود الفرق ولا يتصور وجود الفرق إلا بوجود من يقوم بمعتقداتها من الناس، وإذا كان الأمر كذلك

فكل من دان بمعتقد أحد هذه الفرق نسب إليه لا محالة. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مثالا لهذه الفرق وهم القدرية في قوله عليه الصلاة والسلام:

(القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم)

والقدرية واحدهم قدري. فالنبي صلى الله عليه وسلم نسب أشخاصا من أمته سيأتون من بعده إلى القدر فسمتهم بالبدعة التي وقعوا فيها وهي إنكار القدر. مثالا آخر لتلك الفرق جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوارج واحدهم خارجي ، وقد أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر وهو عليه الصلاة والسلام لم يسمهم بالخوارج ولكن الصحابة ورد عنهم تسميتهم بذلك وتنزيل الأحاديث التي جاءت في الخوارج على الخوارج الذين وجدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، والأحاديث كثيرة منها ما جاء في المسند والسنن أن النبي صلى الله عليه وسلم:

(سيكون في أمتي اختلافا وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل. يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم. يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. ثم لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه. هم شر الخلق والخليقة. طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم) قالوا: يا رسول الله ما سيماهم. قال: (التحليق) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد والدارقطني وغيرهم وهو في السنن أيضا. وقد أخرج مسلم وغيره عن بسر بن عمرو قال سألت سهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الخوارج. فقال: سمعته وأشار بيده نحو المشرق قوم يقرأون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية والحديث كما أنه في مسلم أيضا هو في البخاري وفي مسند الإمام أحمد.

وامتدادا لهذا المأثور جاءت أقوال السلف وأفعالهم في هذا الباب واضحة، فهم يثبتون هذه الفرق وينسبونها إلى بدعتها التي خرجت منها عن موجب الكتاب والسنة، ومن عُرف ما من أحاد الناس نسبوه إليها وكل هذا منقول عنهم ومثبت في دواوين السنة لا يخفى على أهل العلم ولو كتب المرء في ذلك مجلدا كبيرا لما أحاط ببعض ذلك، وكتب السير والتراجم والمؤلفات الموسوعة بالسنة فيها شيء كثير من هذا الباب، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في صحيح مسلم عن يحيى بن يعمر قال: «كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني وفيه أنه لقي ابن عمر فقال له إنه قد ظهر أناس من قبلنا يقرأوون القرآن ويتعلمون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، فقال ابن عمر: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني».

وأولئك إشارة إلى الأشخاص الذين دانوا بالقدر أي دانوا بإنكار القدر فنسبوا إلى القدرية، وقد جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه تأول قول الله سبحانه وتعالى: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا» تأولها في الخوارج، وكذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد روي في ذلك أحاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وان كان لا يثبت منها شيء، وقد جاء أيضا عن أبي أمامة رضي الله عنه في تأويل قول الله سبحانه وتعالى: «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات» أنها في الخوارج.

وفوق هذا أن السلف رضي الله عنهم ينسبون من تلبس منه البدعة ونحوها إليها، فناقع ابن الأزرق أحد رؤوس الخوارج كما هو معلوم وقد نسبه السلف إلى هذه البدعة، بل قد كان اسمه في زمن من الأزمان عندهم علماً أو علما على الخوارج، فقد كانت طائفة من الخوارج تدعى بالأزارقة، وقد ثبت في مسند الامام أحمد أن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كلاب النار، فقال الراوي عنه قلت له: الأزارقة وحدهم أم الخوارج

كلها، قال: بل الخوارج كلها.

والأزارقة قد قتلوا في زمن عبد الله بن الزبير رضي الله تبارك وتعالى عنه، ورؤوس الخوارج وأمراؤهم الذين قاتلهم علي بن أبي طالب معروفون عند السلف ينسبون بأعيانهم إلى هذه البدعة، كعبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أبي أوفى، وعبد الله بن سخبرة السُلمي وغيرهم ومثل هؤلاء أيضا السلسلة المشيئة الجهم بن صفوان عن الجعد بن درهم عن أبان بن سمعان عن طالوت بن الأعصم اليهودي فقد عرف أهل السنة حُبّ هذه السلسلة وحذروا منها ونسبوا كل من عرف منه الملة إلى مشيعها ومنشيها الجهم بن صفوان فقالوا جهمي وهكذا الحال في معبد الجهني وغيلان الدمشقي القائلين بالقدر وفي واسل بن عطاء وعمرو بن عبيد أهل الاعتزال فكل هؤلاء وغيرهم كثير سنتهم السلف رضي الله عنهم وذكروا أعمالهم منسوبة إلى بدعهم دون تكير بينهم.

وأنت إذا أخذت جانبا آخر من هذا الباب وجدت كتب الجرح والتعديل مليئة بنسبة من دون أولئك إليهم ما داموا مشتركين معهم في لمحتهم ووجهتهم وبصرف النظر عن ثبوت ذلك في حق من نسب إليه هذا الأمر أو عدم ثبوت ذلك المقتضى أن أهل السنة فعلوا ذلك فإن ثبت فقد حصل المقصود وان لم يثبت بُرء من نسب إليه ذلك.

أقول هذا لأن بعض من نسبوا إلى ذلك الأمر قد لا يثبت عنهم نسبتهم إلى تلك البدع وهذا كما قيل في الجوزجاني ابراهيم بن يعقوب فقد قال عنه ابن حبان كان حريزي المذهب يعني أنه يرى رأي حريز بن عثمان الذي رمي بالنصب وقال ابن عيينة رحمه الله تعالى في إسماعيل بن سَميع كان يهبصيا، وقال فيه ابن القطان كان صفريا وهبيّتيا نسبة إلى أحد رؤوس الخوارج ينسب إليه طائفة منهم والهبيّتية طائفة من الصفرية اتباع زياد بن الأصفر من الخوارج وهكذا يقول أحمد رحمه الله تعالى في سيف بن سليمان قدري وهلما جرا تجد من هذا الكلام شيئا كثيرا في كتب السلف رحمهم الله تعالى

فثبت بجميع ما ذكر أن التنسيب حق أجمعت عليه الأمة فلا ينكره عاقل وكما أن أهل البدع ينسبون إلى بدعهم ليعرفوا فيحذروا فهكذا أهل الحق ينسبون إليه لا إلى غيره فليس لهم ألقاب تنم عن الخروج عن مقتضى الكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة، وهذا معنى قول الامام مالك رحمه الله تعالى: «أهل السنة ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي» ذكره عنه ابن عبد البر في الانتقاء وسئل رحمه الله تعالى عن السنة فقال: «هي ما لا اسم له غير السنة» وتلا قول الله سبحانه وتعالى: «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله».

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عندما ساق هذه الجملة عن الامام مالك في كتابه مدارج السالكين «يعني أن أهل السنة ليس لهم اسما ينسبون إليه سواها». ويقول الثقة الثبت مالك بن مغول رحمه الله تعالى: «إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة فأخفه بأي دين شئت». ويقول أيضا ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: «إياكم وكل اسم يُسمى بغير الإسلام».

ذكر هذين الأثرين ابن بطه رحمه الله تعالى في الإبانة الصغرى ....فظهر هذا الموجز واستبان مشروعية نسبة الناس إلى عقائدهم، فمن كان من أهل السنة فهو سني ومن كان من أهل البدع والأهواء فهو منهم. أشعريا كان أو معتزليا أو مرجئيا أو خارجيا أو رافضيا وهكذا.

أما النظري فأهل الاختصاص أهل الجرح والتعديل قد اعتنوا به وأوسعوه بحثا فبينوا حكمه في الشرع وذكروا قواعده، فتنسيب الناس ونسبتهم إلى عقائدهم وتحليم وصائمم من حيث الحكم ومن حيث القواعد ليس علما مخترعا وليس علما جديدا بل هو علم الجرح والتعديل الذي لا ينقطع من هذه الأمة ما بقي الليل والنهار فمن رام أن يطفئ نور هذا الفن، لخاطر حزبه أو خوفا على محبوبيه المجروحين فقد ضل وأضل وشقي وأشقى!!!

(مقتطف من محاضرة لفضيلة الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم بعنوان: الرد العلمي على منكري التنسيب)

الرد العلمي
على
منكري التنسيب

فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس
آل عبد الكريم
رحمه الله